أثر الموقع السياقي في التبئير الدلالي للكلمة القرآنية من خلال أسلوب التكرار

The impact of contextual position in semantic focalization of Koran words through repetitive method.

د. رضوان شيهان

كلية الآداب والفنون- قسم اللغة العربية- جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف(الجزائر)

chihane.radouane@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/08/16 تاريخ القبول: 2018/08/24 تاريخ النشر: 2018/09/01

الملخص:

يختلف مفهوم تموضع الكلمة عن مفهوم تموقعها؛ فالتموضع يكون خاضعا لقواعد التركيب، أما التموقع فيخضع للسياق الدلالي الذي جيء بالكلمة لتسهم في بنائه، ولكل من المصطلحين محددات، فالأول محدداته نحوية، وأما الثاني وهو الأعم من الأول، فمحدداته دلالية(سياقية)، يمكنها من خلال تكرارها أن تضفي سمة التبئير الدلالي على الكلمة.

ما يهمنا أكثر في هذا البحث هو بيان أثر الموقع السياقي في إضفاء سمة التبئير الدلالي على الكلمة القرآنية من خلال أسلوب التكرار ، التي تتموقع حسب ثلاثة مستويات من النص القرآني؛ في مستوى الآية أو المقطع، وفي مستوى السورة، وفي مستوى النص القرآني العام.

الكلمات المفتاحية: الموضع النحوي ; الكلمة القرآنية ; الدلالة القرآنية ; الموضع ; الموقع; التبئير الدلالي ; البؤرة الدلالية.

Summary :

the concept of word placement is different of the concept of its positioning; placement is subject to the rules of syntax, but positioning is subject to the desired context by adding a word. Both terms have their own determinations, the first one are grammatical, but the second one, which is more general, are contextual, as it can add semantic focalization to the word by repeating it. what is important for us in this paper is demonstrating the impact of placement in adding semantic focalization to Koran words through repetitive method, according to the placement of the word in three levels of the Koran, the versus, chapter and Koran in general.

Key-words: *Grammatical positioning; Koran word;, Semantic Koran; Position; Placement; semantic focalization; Semantic tag.*

البحث:

1/ تموقع المفردة اللغوية وتموضعها في التركيب اللغوي: تتخذ المفردة اللغوية في التركيب اللغوي مواضع خاصة، فإن هي خالفت تلك المواضع لغير ضرورة عد الكلام قبيحا أو ملحونا، ومن ثمة كان لمصطلح الموضع أهمية كبرى على المستويين النحوي والدلالي.

يعرف **جون لاينز(John Lyons)** موضع**(sense)** كلمة ما بأنه" مكانها في نظام من العلاقات التي تترابط بها مع كلمات أخرى"[(1)]، وتختلف طبيعة الموضع باختلاف طبيعة العلاقات، ولذلك نميز بين نوعين أساسيين هما الموضع النحوي والموضع الدلالي، بناء على شرطي الدلاليين في نظرية الحقول الدلالية بعدم إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة، واستحالة دراستها مستقلة عن تركيبها النحوي، وللتفريق بين الموضعين نصطلح على تسمية الموضع الدلالي بالموقع.

بحث عبد الرحمن الحاج صالح في التراث العربي عن مفهوم الموضع عند علماء العربية، وتساءل: "هل هو مجرد موضع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام أو شيء أكثر من ذلك تجريدا؟ وهل يوجد الآن في علوم اللسان الحديثة أو(اللسانيات) شيء يماثل هذا المفهوم العربي العام أو يقاربه؟"[2]

وقد دار نقاش ضمني ردحا من الزمن بين اللغويين والأصوليين حول مصطلحي الموضع والموقع، حين تناولوا العلاقة بين اللفظ والجملة أو التركيب(النظم)، وقد حاول **عبد القاهر الجرجانيّ**(400هـ-471هـ/1009م-1078م) أن يفصل في هذه القضية الجدلية، فبيَّن وجه الإشكال بقوله: "وجملة الأمر أن ههنا كلاما حسنه للفظ دون النظم وآخر حسنه للنظم دون اللفظ، وثالثا قد أتاه الحسن من الجهتين ووجبت له المزية بكلا الأمرين"[3].

وبعد مناقشة طويلة انتصر الجرجاني إلى أثر النظم(التركيب النحوي) في وسم الكلام بالحسن قائلا: "والإشكال في هذا الثالث وهو الذي لا تزال ترى الغلط قد عارضك فيه وتراك قد حفت فيه على النظم فتركته وطمحت ببصرك إلى اللفظ وقدرت في حسن كان به وباللفظ أنه للفظ خاصة وهذا هو الذي أردت حين قلت لك إن في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته"[4]، فلكأنه أراد القول إن اللفظ لابد له- لكي ينصبغ الكلام بالحسن- أن يجتمع له موضع نحوي وموقع دلالي (سياقي).

وقد فرق **عبد الرحمن الحاج صالح** (1927م-2017م)بين المصطلحين الاثنين، إذ يرى أن "موقع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام غير موضعها"[5]، والدليل على عدم تطابق الموقع المحصل المحسوس للوحدة والموضع عند النحاة العرب حسبه هو "تمييزهم بين حالة الوحدة التي هي عليه في اللفظ وما ينبغي أن تكون عليه بحسب ما يقتضيه القياس أو الباب" [6]؛ فالكلمة قد تتخذ موضعا نحويا يقتضيه نظام التركيب النحوي، ولكنها لا تؤدي الغرض الدلالي الذي ينبغي أن تؤديه في السياق، لأن موقعها غير مناسب، وقد يتطابق الموضع النحوي مع الموقع السياقي، فيحققان الدلالة المطلوبة[7]، ذلك أن "لفظة (موقع) عامة واعتبارية في الوقت نفسه، قد تشغل بكلمة واحدة أو بأكثر من كلمة، كما قد يكون العنصر الكلامي الشاغل لهذا الموقع طرفا في الإسناد أو غير طرف"[8].

1-1/ محددات تموقع وتموضع المفردة في النص القرآني: تختلف محددات التموضع عن محددات التموقع؛ فالتموضع باعتباره خاضعا لقواعد التركيب، له محددات غير محددات التموقع الخاضع للسياق الدلالي الذي جيء المفردة لتسهم في بنائه، لذلك يمكن اعتبار محددات التموضع نحوية ومحددات التموقع دلالية(سياقية)، ومصطلح الموقع أعم من مصطلح الموضع.

ما يهمنا أكثر في هذا المبحث هو مواقع الألفاظ لا مواضعها، وبذلك نرى أنه يمكن تقسيم مواقع اللفظ القرآني حسب ثلاثة مستويات هي:

أ/ التموقع في مستوى الآية أو المقطع.

ب/ التموقع في مستوى السورة.
ج / التموقع في مستوى النص القرآني العام.

إن تموقعات الألفاظ تخضع لأساليب عدة، من أبرزها التكرار ذو السمة التبئيرية، ولذلك سنتناول مفهوم التكرار ثم مفهوم التبئير الدلالي على التوالي.

2/ التبئير الدلالي:

2-1-1/ لغة: لفظ (البُؤْرَة) عربي فصيح، معناه: الحُفْرَة أو المركز، ومشتقاته: بأرَ، يبأرُ، بُؤرَةً ، وبَأَّرَ، تَبَأّر؛ وفي " بَأَرْتُ الشَّيء وابْتَأَرْتُه وائتبرته، لغات، أي: خَبَأْته. وفي الحديث: إنّ عبداً لَقيَ الله ولم يَبْتَئِرْ خيراً. وبَأَرْتُ بُؤْرَةً، أي: حفيرةً فأنا أَبْأَرُها بأراً، وهي حفيرةٌ صغيرةٌ للنّار تُوقَدُ فيها... والبَئّار أيضاً: حافر البئر" [(9)].

2-1-2/ اصطلاحا: المقصود بالتبئير(Focalisation) "هو أن تجعل عنصرا من عناصر كلامك بؤرةً في الكلام (Focus)"، وقد استُعمل هذا المصطلَح (البؤرة أو التبئير) بادئ الأمر في اللسانيات التّداوليّة، ثم انتقل إلى ميدان الرواية والنقد الروائي.

وقد كان أحمد المتوكّل أول من ترجم مصطلح (البؤرةُ) ترجمةٌ عربيّة، ثمّ لقي هذا المصطلح قبولا لدى الدارسين اللسانيين، فشاعَ بينهم وانتشرَ.

ومصطَلَح التبئير يعنِي- لدى النقاد الروائين- زاويةَ الرؤية أو وجهَةَ نظرِ المُلاحِظ في روايَةِ القصّة، هذه الرؤية التي تتسم حسب **جيرار جونيت** (Gérard Genette) بدرجات من التجريد التي تتجنب بصورة خاصة التضمين المرئي لوجهة النظر، وقد استعمل الناقدان **كلينث بروكس**(Cleanth Brooks)**(1906/1994)**، **وروبرت وارين**(Robert Penn Warren) **(1905/1989)** مصطلح بؤرَة السّرد مفهوما إجرائيا لتحليل البنية السّردية للروايَة.

إننا في هذا البحث سوف نستعير هذا المصطلح لنستعمله بشكله اللساني الذي يرى في المفردة المعجمية حمولة قيمية معنوية، تؤهلها لأن تكون بؤرة التركيز والثقل في حقلها الدلالي، ويمكن وصف الكلمة البؤرة بوصف آخر هو الكلمة الأساسية أو الكلمة الشاهدة.

2-2/ خصائص المفردة-البؤرة: لم يفت العلماءَ المسلمين القدامى الاهتمامُ بوظائف الكلمة المفردة، والتأكيد على دور التركيب في ذلك، فقد كانت أغلب بحوثهم البلاغية تدور في مستواهما (المفردة والتركيب)، ولا أدل على ذلك الاهتمام من المعارك التي دارت بين النقاد والبلاغيين بشأن اللفظ والمعنى، حيث تجلت بوضوح من خلال آراء **الجاحظ وقدامة بن جعفر**(ت337 هـ)، **وأبي هلال العسكري، وابن الأثير الكاتب**(-558 637هـ/1163-1239م)، **والتهانوي**(ت. بعد 1158 هـ / بعد 1745 م) ، **وابن سيده** (ت458 هـ).

إن أول من خاض معارك النقاش في قضايا اللفظ والمعنى المعتزلة والمتكلمون؛ حيث قالوا باستقلال اللفظ عن المعنى، وانتهت تلك النقاشات والمدارسات في عهد القاضي عبد الجبار بخضوعهم لفكرة الجمع بين اللفظ والمعنى؛ أي بين الدال والمدلول، وقد حدد عبد القاهر الجرجاني العلاقة بينهما وعللها بقوله: "... لأن اللغة تجري مجرى العلامات والسمات، ولا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلاً عليه"[10].

وقد أكد **ابن الأثير الكاتب** في مقدمة حديثه عن البلاغة، على دور الكلمة في الأغراض البلاغية، وعلى أهمية الكلمة في الصناعة اللفظية التي يحتاجها الخطباء والشعراء، حيث يرى أن صاحب هذه الصنعة يحتاج إلى ثلاثة أشياء؛ أما الأولى فهي اختيار الألفاظ المفردة كما تتخير اللآلئ المبددة قبل النظم، وأما الثانية فهي اختيار الموضع الملائم لها مع أخواتها في النظم كما يتشكل العقد المنظوم، وأما الثالثة فهي تعيين الأغراض المقصودة من الكلام كما تعين مواضع العقد التي تجلب حسن الهيئة، وهذه الأشياء الثلاثة هي التي يراد بها مصطلح البلاغة [11].

إن الغرض من الكلام المنظوم، شعرا كان أم نثرا، في رأي ابن الأثير، متعلق في المقام الأول بوظيفة اللفظة اللغوية التي ينتقيها صاحب الصنعة اللفظية؛ حيث تكون النواة الأساسية المستخدمة في التأثير والإقناع، خصوصا إذ تنوعت أساليب التلقي والتأويل لدى جمهور المتلقين للخطاب.

في هذا الإطار يمكننا النظر إلى الأهمية التي تكتسيها المفردة في الخطاب من زاويتين؛ الأولى متعلقة بالوظائف الفردية في إطار الموضع الدلالي الذي احتلته من الخطاب، كوظيفة الحجاج مثلا، والثانية متعلقة بتصدر المشهد في الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه، كسمة التبئير الدلالي التي تسهم في تسليط الضوء على معاني دلالية محددة متعلقة بالمعنى العام للحقل الدلالي، وجعلها بؤرة(مركز) الخطاب، ومن أمثلة المفردات ذات التبئير الشديد في القرآن الكريم مفردات(الله) و(الإنسان) و(الإيمان) و(الكفر) و(الحق) و(الباطل)، وغيرها.

ولابد أن تتوفر في المفردة خصائص رئيسية حتى تتسم بسمة التبئير، فليست كل الألفاظ في الخطاب ذات طبيعة تبئيرية، حيث يسهم الأسلوب والسياق اللغوي بقسط وافر في تشكيل تلك السمة.

إن سمة التبئير قد تنتج أحيانا من كون المفردة ذات وظيفة حجاجية؛ فالمفردة- البؤرة حين تستمد تلك الخصائص من طبيعتها اللغوية ومن تداولها في الخطاب" تجعلها مؤهلة لتكون ذات صبغة حجاجية... وإنَّ لها في الخطاب بناء على تلك الخصائص حركة تقصي فيها غيرها، وتعوضه، وتحل محله، ليكون الخطاب أوغل في الحجاج، وأذهب في الإقناع"[12].

2-2-1/الخصائص الاقتضائية (اللغوية): يتفق الأصوليون والمناطقة والنحاة واللسانيون المحدثون على أن المقتضى(Présupposé) من (ضرورة اللفظ)[13]، حيث إنه" المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة"[14]، وقد ساق الشريف الجرجاني مثالا على ذلك في تفسير قوله تعالى في كثير من الآيات(فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) فقال: "... وهو مقتضٍ شرعا لكونها مملوكة؛ إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم، فيزاد عليه ليكون تقدير الكلام: فتحرير رقبة مملوكة"[15]، وهذه الإشارة إلى حصول المقتضى بين مستويين في الخطاب، عبر عنها عبد القاهر الجرجاني بمصطلحي (المعنى) و(معنى المعنى)، إذ" تعني بالمعنى المفهومَ من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنىً، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" [16].

إن إدراك العلماء المسلمين القدامى لثنائية (وضوح/ غموض) "كان دعما قويا لحصر المجال الإدراكي للحدث الدلالي في كل مستوياته الظاهرة والباطنة، وهو الأمر الذي أدى إلى آليات كافية لتغطية جميع أنماط التلقي، سواء أكان ذلك بالوقوف على الظاهر بآلية التفسير، أم بالوقوف على الخفي بآلية التأويل"[17]، وذلك من خلال الدراسات التي شملت المستويين الرئيسيين؛ مستوى اللفظ المفرد، و مستوى الجملة.

وقد أشار كثير من الدارسين الغربيين المعاصرين إلى المستويين الصريح والضمني في الخطاب، حيث قدم **غرايس**(H.P.Grice)(1975) نظريته المحادثية، التي تدور حول قواعد التواصل الكلامي، الخاضع لمبدأين؛ الأول عامٌّ هو مبدأ التعاون[18]، والثاني هو المُسَلَّماتٍ الحوارية(الاستلزام الخطابي)[19] ؛ حيث إن المقتضى يظهر جليا في التفاعل القولي بين الأطراف المشاركة في المحادثة[20].

ولتوضيح طبيعة تلك المعاني، نأخذ مثالا من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ **[الحاقة: الآية8]**، حيث يتشكل المعنى الصريح للآية من ضم محتواها القضوي، إلى قوتها الإنجازية (التساؤل عن إمكانية وجود باقية لعاد وثمود)[21]؛ فالأول متعلق بالدلالة، وهو مجموع دلالات عناصرها(وجود باقية لعاد وثمود)، والثاني حرفي تؤشر عليه أداة الاستفهام(هل).

أما المعنى الضمني للآية فيتألف من معنيين جزئيين؛ أولهما عرفي وهو الاقتضاء، أي اقتضاء وجود باقية لعاد وثمود، وأما الثاني فهو تخاطبي استلزامي، وهو تقرير أن ليس لعاد وثمود باقية بسبب إهلاكم، ودليل ذلك قوله تعالى﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (*) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (*)﴾ **[النجم: الآيتان50-51]**.

بعد أن بينا مفهوم الاقتضاء في مستوى الجملة، نأتي الآن إلى بيان وجود مقتضى دلالي للكلمة- وهو ما يهمنا في هذا المبحث- حيث أشار الأستاذ صولة إلى هذه القضية، قائلا بإمكانية نشوء المقتضى من الدلالة المعجمية التي للكلمة (المفردة)، فنبه بذلك إلى وجود كلمات لها في ذاتها مقتضى، حتى إذا ما أقحمت في تراكيب كانت هي المسؤولة عن ظهور المقتضى فيها(أي في التراكيب) انطلاقا من معناها المعجمي[22].

إن من نتائج تأملات العلماء المسلمين القدامى لطبيعة العلامة اللسانية، إدراكهم إن حصول الدلالة يكون بسبيلين اثنين؛ "أحدهما سبيل المنطوق، والآخر سبيل المفهوم"[23]، ولذلك قالوا بثنائية أخرى متعلقة بمقتضى اللفظ، وهي ثنائية(منطوق / مفهوم)، ولذلك نجد عبد القاهر الجرجاني يفرق بين ضربين من الكلام؛ "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن(زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد... وعلى هذا القياس، وضرب آخر أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض"[24]، فهناك الدلالات الداخلية المستنتجة من المنطوق، وهناك الدلالات الخارجية التي" تُدرك بمعزل عن دلالة المنطوق؛ فهي حكم عقلي يصل إلى الذهن بإعمال الفكر في الإحالات القائمة على العلاقات التلازمية التي تحدد المقصود من خطاب معين"[25].

وتكاد ثنائية (منطوق/ مفهوم) عند الأصوليين "تكون موافقة لثنائية (دلالة تصريحية/ دلالة حافة) عند اللسانيين، ووجه القرابة بينهما أن المنطوق والدلالة التصريحية (أي الدال والمدلول) يتخذان مادتهما من اللغة، في حين أن المفهوم والدلالة الحافة ليسا من اللغة"[26].

ومن الدلالات القوية على غنى القرآن الكريم بثنائية (منطوق/مفهوم) في المستويين اللفظي والتركيبي، هو تفريق العلماء بين مفهومي التفسير والتأويل؛ إذ يكون التفسيرُ "لبيان المقصود من انتظام العلامات اللسانية في سياق معين... وأما التأويل فهو إجراء آخر يسترفده المتلقي عندما يعسر عليه الإمساك بالغرض من الخطاب"[27].

وما ينبغي التنبيه عليه أثناء دراسة المقتضى الذي للكلمة القرآنية، هو أن معاني الكلمات ليست كلها ذات مقتضى معجمي، ولذلك يجب تدبر معناها، بغض الطرف عن المعاني العقدية الملابسة لها، إذ أن محتوى المقتضى المعجمي يقبع تحت المحتوى الملفوظ المنطوق، كما أن من شأن المقتضى المعجمي أن يَسِمَ الملفوظ الذي حمله بميسم دلالي وحجاجي خاص[28].

من أمثلة الكلمة-البؤرة ذات الوظيفة الحجاجية، كلمتا (رب) و(الله) في الحوار الذي دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام والنمرود في الآية(258) من سورة البقرة، حيث بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام المرحلة الأولى من حوار المحاججة للدلالة على عجز الناس عن خلق الحياة وإعادة البعث[29] -والخلق من صفات الربوبية- باستعمال كلمة(رب)؛ حيث قال﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾، أما في المرحلة الثانية فقد استعمل كلمة(الله) حين قال﴿ قالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ليجري مع النمرود المدعي للألوهية على عادة المتعاندين في تقابل الأفعال(إذا كنت إلها كما تدعي فهات ما يوافق طبعك في معاندة الله الإله الواحد، المستحق للعبادة) إن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب؟

ومن جهة حجاجية أخرى فإن سيدنا إبراهيم عليه السلام "لما وصف ربه تعالى بما هو صفة له من الإحياء والإماتة- لكنه أمر له حقيقة ومجاز- قصد إبراهيم عليه السلام إلى الحقيقة، وفزع نمرود إلى المجاز، وموَّه على قومه، فسلَّم له إبراهيم تسليم الجدل، وانتقل معه من المثال، وجاءه بأمر لا مجاز فيه"[30].

إن الانتقال من الاستدلال بالخلق والبعث، إلى الاستدلال بالتصرف في المخلوقات وتنظيم شؤونها- وإن كان للحوار هدف واحد- هو الذي يفسر انتقال سيدنا إبراهيم عليه السلام من استخدام كلمة (رب) إلى استخدام كلمة(الله)، وهما كلمتان ليستا مترادفتين كما هو معلوم، وهذه خاصية من خصائص النص القرآني، حيث أن" الخطاب إذ يعمد إلى اختيار كلمة دون أخرى مما يُرادفها أو يُظن أنه يُرادفها، إنما يرمي إلى مزيد من التأثير في ذهن المتلقين على أساس أن الكلمة المختارة أعلق بعالم خطابهم، وأمضى أثرا فيه بما لها من زوائد معنوية جاءتها من اللغة أو الاستعمال، أو منهما معا"[31].

2-2-2/ الخصائص التداولية: إن الكلمة - بعد وضعها- تُلقى في حلبة الصراع اليومي، فإذا ما فرضت وجودها ضمن القاموس اللغوي بإثبات حضورها الحضاري، من خلال الاستعمال الدائم في مختلف مجالات الحياة، وحضورها التاريخي عبر الأجيال المتعاقبة، اكتسبت إذ ذاك صفتين؛ صفة البنية النحوية العامة الملائمة لاستعمالها، وصفة المخزون الدلالي المتأتي من الاستعمال المتواصل[32].

إذن فتداول لفظ ما أو تكراره– الذي يمر حتما بعملية التسييق- من المعايير الأساسية التي يحتكم إليها في معرفة المفردة- البؤرة أو المفردة البارزة أو الشاهدة [33]، و"يقوم أساسا على الإحصاء، ويسمى معيارا(Battig) و(Montageue) ويقوم على تكليف عدد من الأشخاص بأن يكتبوا – في وقت زمني محدد- أكبر عدد من الكلمات الواقعة تحت صنف معين... وترتب المفردات حسب نسبة ترددها، فالمفردات الأكثر ترددا تكون أكثر بروزا"[34].

إن عملية (التسييق) عامل مسهم في تداول الكلمة، وفي التغيير الذي يلحق دلالتها القرآنية، فالقرآن أعاد إنتاج كثير من الدلالات الجديدة من خلال عملية التسييق حيث أدخل عليها التغييرات التي يقتضيها خطابه، ليس اضطرارا لنفاد المعجم اللغوي، بل لبعث الحيوية في استعمال الألفاظ(العربية والمعربة)، ولذلك فموقع الكلمة من اللغة من جهة، وموقعها من التداول من جهة أخرى لهما تأثير في وظيفتها الدلالية، إلى جانب توخي معاني النحو في ترتيب نفوس الكلم، ومراعاة المعنى المعجمي والسياق بأنواعه.

3/ التكرار:

3-1/ التعريف اللغوي للتكرار: التِّكرار مصدر من مادة (كرَّر) أي (ردد) أو (أعاد)، وهو عند البصريين (تَفعال) بـ فتح التاء خلاف (تفعيل)، أما الكوفيون فهو عندهم من (فَعَّل)، والألف عوض من الياء في

التفعيل[35]، والتكرار وهو الرجوع ، "يقال: كرّه وكرّ بنفسه، والكرّ: مصدر كرّ عليه يكرّ كرّا، و كرورا وتكرارا: عطف، وكرّ منه: رجع، وكرر الشيئ وكرّره: أعاده مرة بعد أخرى"[36].

وإلى هذا الرأي ذهب **الفيروز آبادي**(729هـ/ 817هـ)، حيث ركز على معنى الإعادة الناجمة عن التكرار، بقوله: " **كَرَّ** عليه كرًّا وكُرورا وتَكرارا: عطف، وعنه: رجع، فهو كرَّارٌ، ومِكرٌّ، و **كرّره** تكريرا وتَكرارا و تَكِرَّة، كتَجِلَّة، و **كركره**: أعاده مرة بعد أخرى"[37]، و"التكرير هو مثالٌ أوّلٌ لقولهم(كرر تكريرا: ردَّد وأعاد) والتكرار فيه هو بنية مبالغة وتكثير، وهو من باب ما تكثر فيه المصادر... فصار بناؤه بناء آخر على غير ما يجب، كالتَّهدار والتِّلعاب والتَّصفاق"[38].

3-2/ التعريف الاصطلاحي للتكرار: تفطن العلماء القدامى إلى أسلوب التكرار، وله عندهم تعاريف اصطلاحية عدة تتفق على كونه "الإتيان بشيء مرة بعد أخرى"[39]، وقد عرَّفوه عموما بأن "يأتي المتكلّم بلفظ ثم يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متّفق المعنى أو مختلفًا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرطه اتّفاق المعنى الأول والثاني"[40].

وقد رد ابن قتيبة على الذين يطعنون بوجود التكرار في القرآن الكريم، مبينا أنه من أساليبه الفعالة المبينة لمعانيه، حيث قال: "... وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن قصص الأنبياء مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم"[41].

ولعل وجود أسلوب التكرار في القرآن الكريم هو من تمام التيسير على الناس في قراءته وتذاكره بينهم، حيث "أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سور؛ لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآنًا صغيرًا، فسهّل السبيل لكل أحد، دون أن يحرم أحدًا، فكرّر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام"[42].

أما **أبو محمد القاسم السجلماسي**(ت نحو704هـ/1305م) فقد توسع في مبحث التكرار، حيث قسمه إلى قسمين، لكا منهما مصطلح خاص؛ أما الأول فهو تكرار اللفظ بلفظ وسماه المشاكلة، وأما الثاني فهو تكرار المعنى بمعنى مثله وسماه المناسبة [43].

ووافق المُحدُثون القدامى في تعريفهم للتكرار، وعَدُّوه نمطا من أنماط التأليف اللغوي، الذي يقصد به التضخيم والتفخيم والتوكيد[44]، وقسَّموه على حسب مستويات التحليل الأسلوبي إلي تكرار صوتي(تكرار حرف)، وتكرار معجمي(تكرار كلمة)، وتكرار معنوي أو تركيبي(تكرار جملة أو آية بأكملها).

3-3/ أهمية أسلوب التكرار في القرآن الكريم: للتكرار من خلال الأنواع الثلاثة المذكورة آنفا فوائد جمة، لعل أهمها هو تأكيد الأمر وتقريره في النفس، والتنبيه، والتذكير بالكلام السابق، وهذا ما يدعو إلى القول بأنه

ظاهرة ملحّة في البنية القرآنية، تفرضها بلاغته، وإننا هنا سنهتم أساسا بالتكرار المعجمي، لعلاقته بموضوع بحثنا.

يؤدي الموقع دورا هاما في تحديد دلالات الكلمات القرآنية المكررة، لأنه "أصل التميز والتجدد والاستقلال الدلالي، فلكل موقع أثر في خصوصية المعنى تماما كما هو ملحوظ في الكون المرئي، فكما جعل الله للشمس في السماء بروجا،... وللقمر منازل، وللنجوم مواقع، لكل موقع منها أثر في تجديد الحياة وتميزها، فكذلك جعل للكلم مواضع يجب أن تعتبر وتقدَّر، وإلا لكان الزلل والانحراف، وقد ذم الله قوما﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ **[النساء: من الآية46]**، وفي آية أخرى﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ **[المائدة: من الآيتين 13، و41]**"[45].

والقول بوجود أسلوب التكرار في القرآن لا يعني ضيق المعجم اللغوي فيه، أو عجزا عن استعمال ألفاظ أخرى، كلا، بل إن من بلاغة التعبير القرآني تحاشي التكرار، "حتى إذا دعت إليه الحاجة صار لازبا، ويصبح العدول عنه جفاء في العبارة وقصورا في البلاغة، ويكفيك شاهدا أنه كرّر الاسم الظاهر خمس مرات متواليات في سورة (الناس)، من أولها إلى آخرها، ولم يعدل السياق إلى الإضمار، ولم يأنف القرآن من ذلك، مع كون اللفظة المكررة فاصلة للسورة، وهي محل بروز اللفظ وظهوره وتضخيم موقعه"[46].

إن للقرآن الكريم معجم قولي خاص، و"داخل هذا المعجم كلمات بعينها تتكرر وإن بنسب متفاوتة"[47]، وهذا التفاوت في نسب التكرار ليس اعتباطيا، كما أن المعجم القرآني لا يستعمل كل مفردات الحقل الدلالي المتوفرة في المعجم اللغوي، بل يتخير المفردات وفق منهج يتيح إبلاغ المعاني المراد إبلاغها.

والخطاب القرآني لا يعرف التكرار المعنوي(التركيبي) المطلق مادامت الكلمة المكررة تتواجد في مواقع مختلفة، تُكسب من خلالها- مع أخواتها- التعابيرَ معاني جديدة، وكما ينتفي الترادف الكلي بين الألفاظ، فإنه يكاد ينتفي التكرار الكلي للمعاني في نص فني، "فالكلمة الثانية لا تحمل معنى الأولى، وإلا كان ذلك تحصيل حاصل ولكن الكلمة الثانية تحمل معنى إضافيا هو مبرر وجودها، وهو معنى التأكد أو التعصب أو التركيز، وما إلى ذلك من المعاني المقدرة في ذهن المتلقي"[48].

3-4/ التكرار الحقلي: نعبر بمصطلح التكرار الحقلي هنا، عن تكرار ألفاظ الحقل الدلالي، أو تكرار استعمال حقل دلالي في القرآن الكريم باعتباره نصا واحدا، أو بين السور باعتبارها مستقلة بحيثيات (خصائص) معينة؛ كالطول والقصر، وأسباب النزول، والترتيب في المصحف، أو الترتيب حسب النزول، وغيرها من الاعتبارات التي تؤخذ في البحث الدلالي.

إن ما يلحظ في النص القرآني بروز بعض الحقول اللغوية، وفي الحقل الواحد قد يغلب لفظ أو مجموعة من الألفاظ على بقية ألفاظ الحقل الأخرى، وتختلف نسبة التكرار بالنسبة للحقل وألفاظه، إما باعتبار السور أو باعتبار النص ككل.

ولما كان للتكرار أثر بارز في المستويات اللسانية، فقد انتبه الباحثون إلى أن "التحليل الألسني يعطي أهمية قصوى للفظ المكرر في النصوص، ويسمى تلك الألفاظ (الكلمات المفاتيح)، وهي تخص الكلمات التي يصل معدل تكرارها في العمل الأدبي إلى نسبة أعلى مما هي عليه في اللغة العادية؛ أي أنها تتمتع بمعدل تكراري لدى الكاتب تفوق نسبتها لدى غيره من معاصريه، فتصبح تلك الكلمات ذات طابع شخصي يميز صاحب النص"[49].

إننا هنا -كما نهنا سابقا- نفرق بين نوعين من التكرار؛ تكرار أسلوبي(موضعي)، وتكرار حقلي (موقعي)؛ فأما الأول فيتعلق بالميزة الأسلوبية لتكرار لفظ بعينه في مواضع تركيبية متعددة، وأما الثاني فهو تكرار لفظ في مواقع نصية قد لا يكون بينها رابط أسلوبي متعلق بالتكرار في حد ذاته من غير التذكير والتوكيد، كتكرار ألفاظ الأعلام في كثير من السور القرآنية، وهذا ما يمكن الاصطلاح عليه بمصطلح التواتر، وهو مصطلح عام لتكرار الشيء ولو لم يكن في تكراره خصائص مميزة مدركة.

إن تكرار(تواتر) لفظة أو مجموعة من الألفاظ في الخطاب القرآني يسهم في انسجامه العام، وهذا الانسجام لا يمكن أخذ تصور بشأنه إلا بعد ملاحظة دقيقة لخريطة التكرارات(التواترات) في النص القرآني ككل.

4/ إسهام التكرار في التبئير الدلالي للكلمة القرآنية: إن المفردة البؤرة تكتسب ميزة التبئير من ذلك التزاحم الذي ينشأ بينها وبين كثير من المفردات في النص القرآني، وخصوصا تلك التي من حقلها المعجمي، حيث تسعى كل مفردة إلى ضمان مكان مميز في الخطاب الملفوظ، تستأثر به، وتقصي من خلاله صويحباتها عنه، والتكرار من الأساليب المسهمة في إضفاء سمة التبئير على المفردة، حيث تزاحم المفردة بقية الكلمات بكثرة التكرار(التواتر) في الخطاب، لاحتياجه لها، للقيام بوظائف بلاغية ودلالية مختلفة، مما يجعلها ظاهرة بقوة، مشكلة بذلك بؤرة دلالية مميزة فيه.

4-1/ نماذج:

4-1-1/ التبئير الدلالي لأسماء سور القرآن الكريم: لم يعط العرب أسماء لقصائدهم التي هي ديوانهم العظيم، ومع مجيء الإسلام" دشن القرآن ظاهرة العنونة في الثقافة العربية لأول مرة في تاريخها، ومع زيادة الثقافة القرآنية في شبه الجزيرة العربية، خطت هذه القضية خطوة نوعية في مستوى التعاطي مع العنوان وصلته بالمحتوى كإشارة إلى تماسك المنطق الداخلي الذي يحكمها، والخيط المنهجي الذي يربطها، فشكلت

أسماء السور القرآنية دلالات رمزية لها قدرة محورية في السورة، و إشارات من طرف خفي إلى حدث جسيم فيها"[50]. وتشكل أسماء سور القرآن الكريم تبئيرا دلاليا واضحا، بحيث تشتمل مجموعات الأسماء هذه على:

- بعض أسماء الله وصفاته(النور، غافر، الرحمن، ...الخ)
- أسماء القرآن الكريم وصفاته(الفرقان).
- أسماء تدل على أصول الإيمان والتحذير من الكفر ومن النفاق(الإخلاص، المنافقون)
- أسماء تبين معجزة من معجزات نبي الرحمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم(الإسراء).
- أسماء تدل على الإيمان بيوم البعث والحساب وعلامات الساعة الكبرى وأهوال يوم القيامة(القيامة، الانفطار، الحشر...الخ)
- اسم لتكريم الإنسان(الإنسان، والنساء)
- أسماء تدل على بعض قبائل وأجناس الإنسان من أعداء الدين، (المنافقون، والكافرون، والروم، وسبأ، ...الخ)
- أسماء لبعض الصالحين(ذي القرنين، و مريم، ولقمان)
- اسم لأحسن القصص التي قصها الله علينا في كتابه (الْقَصَص)
- أسماء لبعض أركان الدين(الحج، السجدة)
- اسمين لتشريع إسلامي خاص بالحياة الزوجية (الطلاق، والتحريم)
- اسم لأساس من أسس الحكم الإسلامي(الشورى)
- اسم لحالة انفعالية(الهمزة).
- أسماء لبعض أحوال الإنسان(المزمل، والمدثر، والمجادلة،...الخ).
- أسماء لبعض مكونات السماء(القمر، والنجم، والشمس...الخ).
- اسم يدل على ما تتميز به حضارة الإنسان(المائدة، والحديد).
- أسماء لبعض الحيوانات(البقرة، والفيل).
- أسماء لبعض الحشرات(النحل، والعنكبوت).
- اسم شجرة مثمرة (التين)
- أسماء لبعض الأماكن(الأحقاف، والحجرات، والبلد، ...الخ) .
- اسم لمكان احتضن المؤمنين(الكهف).
- أسماء تدل على الزمن(الْقَدْرِ، والجمعة، والضحى،...الخ).
- أسماء لظواهر طبيعية(الرعد، والمرسلات، والذاريات).
- أسماء تشير إلى كلمات أو حروف(يس، وحم، وألم، وص،..إلخ)
-أسماء سور للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام(الأنبياء، محمد، يونس، هود، يوسف،...الخ).

وقد حاول القدامى تصنيف أسماء سور القرآن الكريم في مجموعات دلالية تصنيفية، غير أنهم لم يتفقوا على تصنيف محدد، وقد جدد الباحثون المحدثون المحاولة، فرأى بعضهم أن أسماء السور يمكن تصنيفها في أربع مجموعات، على النحو الآتي[51]:

أ/ اسمان ليسا من صلب النص القرآني، وهما الفاتحة والإخلاص.
ب/ أسماء جاءت على مصدر الفعل المذكور في صدر السورة، مثل: الإسراء، والتكوير، والانفطار، والانشقاق.
ج/ أسماء جاءت في السور نكرة، لكنها عرفت بأل في العنوان، مثل البقرة، والمائدة، والجاثية.
د/ أسماء جاءت مطابقة حرفياً لورودها في النص القرآني، وهذا هو القسم الغالب الأعم، وهو ينقسم بدوره إلى أسماء على صورة الحروف، مثل: ص، وق، وطه، ويس، وأسماء على صورة الأفعال، مثل: فصلت، وعبس، والقسم الأخير وهو الكثير الغالب في أسماء عادية، مثل، آل عمران، والنساء، والأعراف، والأنفال، ويونس، وهود، وإبراهيم، والرعد، والماعون....الخ

إن كل اسم من أسماء السور يشكل بؤرة دلالية، حيث ترتبط الأسماء بسياق النص القرآني، فهي تحمل شحنات دلالية خاصة، فاسم (البقرة) مثلا في سورة البقرة يشكل بؤرة دلالية، حيث جاء الاهتمام بهذا (الكائن) من خلال قصة سيدنا موسى مع بني إسرائيل، حيث أصبحت البقرة عنوانا لعناد ومكابرة وتكذيب بني إسرائيل.

وقد ناقش العلماء أسباب إطلاق تلك الأسماء بالتحديد، وممن استفاض في هذا المبحث الزركشي الذي ابتدأ كلامه في هذا الشأن بذكر منهج العرب في التسمية فقال: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خَلْق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"[52].

ثم يقدم الزركشي أمثلة على ذلك، فيذكر أن "تسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم، لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ **[الأنعام: من الآية 142]**، و قوله﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ **[آل عمران: من الآية14]**، لم يرد في غيرها، كما ورد ذكر النساء في سور أخر، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها"[53].

ويستشهد الزركشي أيضا على دور التكرار في إطلاق تلك الأسماء فيقول:" فإن قيل: قد ورد في (سورة هود) ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلم تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب، قيل: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا، وإن قيل: فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها، وذلك أكثر من تكرير اسم هود، قيل: لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره، وأن تكرر اسمه فيها[54].

وهناك أسماء ليست أسماءً لسور، لكنها تمتاز بقوتها التبئيرية، كأسماء الأعلام(موسى) و(عيسى)، و(إسرائيل)، وفيما يلي جدول يبين نماذج من الكلمات ذات الطبيعة التبئيرية في الحقول الدلالية المشهورة في القرآن الكريم.

اسم الحقل	الأسماء البؤر
حقل أسماء الأعلام (الأنبياء والرسل)	محمد_ هود_ إبراهيم_ نوح _ يوسف
حقل أسماء الأماكن	مصر_ الجنة_ جهنم
حقل أسماء الحيوانات	البقرة_ الفيل_ العاديات
حقل أسماء الحشرات	العنكبوت_ النمل_ النحل
حقل أدوات الحضارة	المائدة_ اللباس

2-1-4/ **أسماء الأنبياء في القرآن الكريم:** من الأمثلة الواضحة عن الألفاظ ذات السمة التبئيرية الناشئة من خلال التكرار؛ ألفاظ أسماء الأنبياء[55]، وهي ألفاظ تندرج ضمن حقل الأعلام، والجدول الآتي يبين عدد تكرارات كل اسم في النص القرآني:

	الأسماء	عدد التكرارات			الأسماء	عدد التكرارات
1	موسى	136		15	شعيب	11
2	إبراهيم	69		16	داود	10
3	يعقوب	16	59	17	هود	10
	إسرائيل	43		18	صالح	9
4	نوح	43		19	يحي	8
5	عيسى	25	36	20	زكريا	7
	المسيح	11		21	الأسباط	4
6	يوسف	27		22	أيوب	4

7	لوط	27	23	يونس	4
8	آدم	25	24	لقمان	2
9	هارون	19	25	إلياس	2
10	سليمان	17	26	إدريس	2
11	إسحاق	17	27	اليسع	2
13	إسماعيل	12	28	ذو الكفل	2
14	المسيح	11			

سيلفت انتباه القارئ للقرآن الكريم أن نسبة التكرار العالية لاسم النبي موسى (عليه السلام) وذلك راجع لكون النص القرآني قد كرر الحديث عن قصة سيدنا موسى وقومه في كثير من السور، وللحاجة بين الفينة والأخرى عرض وبناء المفاهيم القرآنية.

ونرى من جهة الناحية التواصلية المباشرة في النص القرآني، "أن موسى(عليه السلام) يحتل في القرآن مكانة غير اعتيادية، إذ يبدو أنه من بين كل الرسل الذين عرفوا بهذه الصفة في القرآن، قد سمح له بأن يتمتع بامتياز خاص بهذا الشأن، فقد كلم الله موسى مباشرة، وعلى نحو استثنائي تمام"[56].

4-1-3/ التبئير الدلالي لثنائية(أعمى/بصير) في القرآن الكريم: يعد لفظ (العَمَى) ومشتقاته من أكثر ألفاظ حقل الرؤية بروزا في القرآن، لأنه يسهم في بيان جوهر الرسالة الربانية الفاصلة بين العمى والإبصار بوجهيهما الحسي والمعنوي؛ تعطُّلُ جارحة الرؤية عن النظر الحسي، وتعطل القلب عن النظر العقلي.

وأصل دلالة لفظ(العمى) من السِّتر والتغطية[57]؛ يقال: "السحاب العماء، لأنه يستر السماء، وعمي الرجل كأنه سترت عنه المرئيات"[58]، ومنه كان اتفاق اللغويين على تعريف لفظ (العمى) بأنه ذهاب البصر، أو هو ذهابه كله[59]، وذهب بعضهم إلى أن نعت (العمى) لا يقع على عين واحدة، لأنه ذهاب البصر من العينين كلتيهما[60].

وقد انسحبت دلالة عمى العين على القلب، وفُرِّقَ بينهما بالنعت؛ فيقال: "(قَومٌ عَمُون) من عَمَى القَلْب، وفي هذا الصدد يُقال (ما أعماه)، ولا يُقال من عَمَى البَصر(ما أعماه) لأنّه نَعْتٌ ظاهرٌ تُدركُه الأبصارُ"[61].

ولهذا اللفظ اشتقاقات كثيرة، منها "عَمِي، كَرَضِيَ، وعَمًى: ذهبَ بَصَرُهُ كُلُّهُ، فهو أعْمَى وعَمٍ، وهم عُمْيٍ وعُمْيانٍ وعُماةٍ، كأَنَّهُ جَمْعُ عامٍ، وهي عَمْياءُ وعَمِيَةٌ وعَمْيَةٌ، وعَمَّاهُ تَعْمِيَةً: صَيَّرَهُ أعْمَى"[62]، ولا يبنى هذا اللفظ على وزن (افعالَّ) "لأَنه ليس بمَحسوسٍ وإنما هو على المَثَل، و(افْعالَّ) إنما هو للمَحْسوس في اللَّوْنِ والعاهَةِ"[63].

وقد ورد لفظ (عمى) في القرآن الكريم مجموعا على (عُمْيٌ) نحو قوله تعالى﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:18]، وعلى (عميان)؛ نحو قوله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان:73].

وأما تفسير قوله تعالى﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:72]، ففيه وجهان، "أحدهما أنه من عمى القلب الذي يتولد من الضلالة وهو ما يقبل الزيادة والنقص لا من عمى البصر الذي يحجب المرئيات عنه، وقد صرح ببيان هذا المعنى قوله تعالى﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج:46]، وعلى هذا فالأول اسم فاعل والثاني أفعل تفضيل من فقد البصيرة، والثاني أنه من عمى العين؛ والمعنى: من كان في هذه أعمى من الكفار فإنه يحشر أعمى، فلا يكون أفعل تفضيل، ومنهم من حمل الأول على عمى القلب، والثاني على فقد البصيرة"[64].

إضافة إلى لفظ(العمى) المرتبطة في أغلب النص القرآني بفئات الضالين والمنافقين والكافرين، والدال على عدم الاهتداء إلى الحق والإيمان، نجد لفظ (بصير) ذو الدلالة العامة على الإدراك الجلي للأمور، وهو يشكل مع لفظ(العمى) بؤرة ثنائية، حيث نجد القرآن الكريم يذكر هذين الطرفين من الثنائية مقترنين؛ نحو قوله تعالى:

- ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: من الآية50].
- ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:24].
- ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ [الرعد: من الآية16].
- ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ [فاطر:19].
- ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ [غافر: من الآية58].

يشكل لفظ (عمى) مع لفظ(بصير) بؤرة دلالية ثنائية، تسهم في البناء المفاهيمي للنص القرآني مع ثنائيات خطيرة أخرى: مثل ثنائيات(الكفر/الإيمان)، و(الظلم/ العدل)، و(الباطل/ الحق)، و(الشرك/ التوحيد)، و(الخيانة/ الأمانة)، و(الكذب/الصدق)...إلخ، وهي ثنائيات تشكل الموازين العامة التي وردت في القرآن الكريم[65]، حيث تتداعى هذه الثنائيات إلى فكر الإنسان، كلما تناول النص القرآني بالتلاوة أو الدراسة. والجدول الآتي يبين توزع استخدام لفظ(عمى) ومشتقاته على النص القرآني، حيث سيتبين لنا أن تكرار اللفظ القرآني، من العوامل المسهمة في جعله ذا طبيعة تبئيرية، وسنتناول في مبحث آخر من هذا البحث تكرارات لفظ (بصير) في جدول منفرد.

لقد تكررت مادة (عمى) في اثنين وثلاثين موضعا من القرآن الكريم(32مرة)، وقد تكررت في الأجزاء الأربعة من القرآن متقاربة، رغم ورودها في اثنتين وعشرين(22) سورة فقط، أي خمس القرآن الكريم، وهذا يبين الاستعمال المتساوي لهذه المادة في مجمل النص القرآني، كما يبينه الجدول الآتي:

الأجزاء	عدد تكرارات مادة(عمى)
الربع الأول	07
الربع الثاني	08
الربع الثالث	10
الربع الرابع	07
المجموع	32

لقد ذكر القرآن الكريم لفظ(عمي) للدلالة على عمى البصر الذي تكون به الرؤية الحسية في كثير من المواضع، نحو قوله تعالى﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ [عبس:2]، كما ذكر العمى القلبي الذي تفتقد به البصيرة، وذمه في مواضع كثيرة، نحو قوله تعالى﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:18]، وذلك منهج القرآن، فإنه "لم يعدَّ افتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة عمى حتى قال﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: من الآية46]، وعلى هذا قوله﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف:101]، وقال﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ [النور: من الآية61]"[66].

ولهذا كان استخدام لفظ (عمى) في التنزيل الكريم استخداما مجازيا، يشار به إلى معاني الجهل والتيه عن الحق والضلال والكبر والكفر، وغيرها من المعاني المناقضة لمعاني الإيمان والهداية والعلم، نحو قوله تعالى﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ ﴾ [هود: من الآية24]، ونحو قوله أيضا﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر:19].

والقرآن الكريم يشير في كثير من الآيات إلى آثار عاهة العمى على الإنسان، إذ لا يطلق وصف العمى إلا لمن يُفْتَرَضُ فيه أنه يرى، وعدم رؤية الأمر المحسوس ضار ومتعب للإنسان، والإبصار مريح له، لأنه كائن متحرك، وكأن الله سبحانه يخاطب عباده، بأن حياتهم لا تعتمد على المحيط المحس فقط، ولكن هناك قيما على الإنسان أن يتعرف عليها، وإلا تعثر واضطرب وتخبط؛ فإذا كان لا يستغني عن البصر الذي هو وقاية له لتفادي العقبات في الأمور المُحَسَّة، فإنه لا غنى له عن منهج الهدى الذي يقيه من الاصطدام بالعقبات في الأمور المعنوية، ولا شك في أن الضلال في القيم المعنوية أبلغ وأشد قسوة من الضلال في الأمور المُحَسَّة[67].

وقد استخدم لفظ(الأعمى) على الحقيقة؛ نحو قوله تعالى﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ [النور: من الآية61]، وما يبين الاستخدام على الحقيقة ذكر لفظي(الأعرج) و(المريض) في نفس الآية، وقد روي من أسباب نزول هذه الآية قول ابن عباس(رضي الله عنه) أن الله تبارك وتعالى لما أنزل قوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:188]، "تَحَرَّج المسلمون عن مُؤاكَلَةِ المرضى والزَّمنى والعرج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والمريض لا يستوفي الطعام، فأنزل الله هذه الآية"[68]، فكان لفظ(الأعمى) في الآية السابقة دالا على العاهة.

وأما ورود لفظ(الأعمى) دون قرينة دلالية تدل على استعماله على الحقيقة في قوله تعالى﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى *أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: الآيتان1-2]، فلأن سبب النزول مشهور ومتفق عليه، حيث أن سورة (عبس) بأنها أنزلت في الصحابي الجليل (ابن أم مكتوم)، واسمه (عبد الله)، وأمه (عاتكة) المخزومية، وكنيته (أم مكتوم) لأنه ولد أعمى، والأعمى يكنى عنه بمكتوم[69]، وقد نُسِبَ إلى أمه لأنها أشرف بيتا من بيت أبيه، ولأن بني مخزوم من أهل بيوتات قريش، فقد روى الحاكم في صحيحه بسند متصل عن أمنا عائشة رضي الله عنها(وهي خالة ابن أم مكتوم) أنها قالت:" أنزلت (عبس) في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل يقول (يا رسول الله أرشدني)، وعند رسول الله رجال من عظماء المشركين، فجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يعرض عنه ويقبل على الآخرين، ففي هذا أنزلت عبس وتولى"[70].

إن أغلب المفسرين لم يخرجوا عن تفسير مقتضى لفظ(الأعمى) بمعنيين؛ **الأول** عُذْرُ عبد الله بن أم مكتوم في الإقدام على قطع كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم)، **والثاني** أن بسبب عاهة العمى استحق مزيد الرفق والرأفة، وذكر صاحب تفسير (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) مقتضى لم ينتبه إليه كثير من المفسرين، وهو أنَّ: "... ذِكره بهذا الوصف من باب التعريض بغيره من أولئك الصناديد وسادة القوم وكأنه يقول لهم﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: من الآية46]"[71]، وبذلك فإن الثنائية (أعمى/بصير) تتجسد هنا بطريقة التعريض لتقابلها ثنائية(بصير/أعمى) عندما يراد بلفظ(الأعمى) العمى الحسي المتمثل في تعطيل جارحة الرؤية، ونجد هذا الأسلوب أيضا في قوله تعالى﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (*) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (*) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: الآيات 124-125-126]، فثنائية (بصير/أعمى) تتراوح بين الاستعمال الحقيقي والمجازي؛ فدلالة العمى والإبصار في الدنيا عند من حقت عليه جهنم دلالة حسية، ولذلك أجرى الله تعالى عليه هذا القانون في الآخرة، ليدرك أن الميزان الذي تقاس به ثنائية(بصير/أعمى) هو الميزان المعنوي المتمثل في ثنائية (الإيمان/الكفر)، قياسا على قوله تعالى﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: من الآية46].

خاتمة:

يسهم التكرار اللفظي في إضفاء سمة التبئير الدلالي على كثير من الألفاظ القرآنية، وهو سمة بارزة في النص القرآني، يسهم في انسجامه، ويسهل تدفق معانيه ، وقدرة استيعابها لدى المخاطبين، والبحث في هذا

الموضوع مفتوح مغر بدراسة أمثلة أخرى من الخطاب القرآني، قد تعين على نهل دلالات جديدة خافية، ذلك أن من سمات هذا الخطاب الذي لا تنقضي عجائبه.

هوامش البحث:

(1) علم الدلالة، جون (لاينز)، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، دط، مطبعة جامعة البصرة- العراق:1980م، ص46.

(2) عبد الرحمن **الحاج صالح**، بحوث ودراسات في اللسانيات الحديثة، دط، موفم للنشر، الجزائر:2012م، ج2/ص9-10.

(3) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(الجرجاني)، تح: محمود محمد شاكر، ط3، دار المدني، جدة- المملكة العربية السعودية :1992م، ص99،100.

(4) م س، ص ن.

(5) بحوث ودراسات في اللسانيات الحديثة، 11/2.

(6) م س، 12/2.

(7) م ن، 12/2.

(8) "جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه"، محمود شرف الدين، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط، المغرب: دت، مج16، ج1، ص21.

(9) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد(الفراهيدي)، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دط، دار ومكتبة الهلال، مصر: دت ، مادة(بأر)، باب (الراء والباء و ايء معهما).

(10) أسرار البلاغة، عبد القاهر(الجرجاني)، عة: ميسر عقاد ومصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان:2007م، ص266.

(11) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين (ابن الاثير)، تق وتع: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دط، دار نهضة مصر، القاهرة- مصر: دت، ص163.

(12) الحجاج في القرآن؛ من أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله(صولة)، ط2، دار الفارابي، بيروت- لبنان: 2007م، ص74.

(13) ينظر: م س، ص88.

(14) التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، آن(**روبول**) وجاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة، بيروت- لبنان: 2003م، ص47.

(15) التعريفات، علي بن محمد بن علي (الجرجاني)، تح: عادل أنور خضر، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان: 2007م، ص238.

(16) دلائل الإعجاز، ص263.

(17) "الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل؛ مقاربة لسانية لآليات القراءة وثقافة المقروء في التراث العربي"، أحمد (**حساني**)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد3، السنة2، جوان2006م، ص110.

(18) ينظر: التداولية اليوم، ص55،56.

(19) ينظر: التداولية اليوم، ص56،57.

(20) الحجاج في القرآن، ص88.

(21) ننبه إلى أن الاستفهام محال على الله تعالى، وإنما ذاك استخبار على معنى التقرير. ينظر: التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود(**صحراوي**)، ط1، دار التنوير، الجزائر: 2008م، ص204.

(22) ينظر: الحجاج في القرآن: ص88.

(23) "الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل"، ص111.

(24) دلائل الإعجاز، ص262.

(25) "الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل"، ص113،114.

(26) الحجاج في القرآن، ص264.

(27) "الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل"، ص117.

(28) الحجاج في القرآن، ص89-90.

(29) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر(ابن عاشور)، دط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس: 1997م، 33/3.

(30) تفسير القرطبي؛ المسمى(الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر **(القرطبي)**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان: 2006: 290/4.

(31) الحجاج في القرآن، ص73،74.

(32) ينظر: م س، ص72.

(33) الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، صلاح الدين (زرال)، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان: 2008م، ص211.

(34) علم الدلالة، أحمد(مختار عمر)، ط4، عالم الكتب، القاهرة: 1993م، ص107.

(35) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ابن منظور)، ط3، دار صادر، بيروت- لبنان: 1994م، مادة (كرر).

(36) م س، مادة(كرر).

(37) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروزآبادي)، ط5، دار المعرفة، بيروت- لبنان:2011م، ص1123، مادة(كرر)

(38) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم **(السجلماسي)**، تح: علال الغازي، ط1، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب: 1980م، ص 476.

(39) التعريفات، ص64.

(40) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر **(ابن القيم إمام الجوزية)**، دط، مكتبة الهلال، بيروت- لبنان: دت، ص159.

(41) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم **(ابن قتيبة)** الدينوري، ط3، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان: 1981م، ص23.

(42) رسائل النور2(المكتوبات)، بديع الزمان سعيد **(النورسي)**، تر: إحسان قاسم الصالحي، ط3، دار الكتب المصرية، مدينة نصر- القاهرة: 20012م، ص268.

(43) ينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص 476،477.

(44) الخطاب النفسي في القرآن الكريم، كريم حسين ناصح **(الخالدي)**، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن: 2007م، ص209.

(45) ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: أغراض وأسرار، مصطفى بن حبيب **(شريقن)**، ط1، دار الكفاية، الجزائر: 2014م، ص65.

(46) ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: أغراض وأسرار، ص73.

(47) الحجاج في القرآن الكريم، ص48.

(48) تحليل الخطاب الشعري، نور الدين **(السد)**، مجلة اللغة والأدب، ع8، الجزائر: 1996م، ص108.

(49) ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: أغراض وأسرار، ص69.

(50) العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم، عبد الرحمن (**حسين**)، صحيفة الحياة، عدد 2007/09/22م.

(51) ينظر: "من قضايا أسماء سور القرآن الكريم: دراسة لغوية وصفية"، عبد الله أحمد إسماعيل وعبد الله عبد الجليل (**المناعمة**)، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) مجلد18، عدد01، جامعة الأزهر، غزة- فلسطين: يناير2010م، ص621،622.

(52) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله(الزركشي)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار التراث، القاهرة- مصر: 1404هـ- 1984م، 1/270،271.

(53) م س، ص ن.

(54) م ن، 1/270،271.

(55) ينظر: الأعلام في القرآن الكريم، الطالب: أحمد مصلح حسين دريدي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، إشراف: أ.د/ يحي جبر، 2000م.

(56) بين الله والإنسان في القرآن؛ دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم، توشيهيكو(إيزوتسو)، تر: علي العاكوب، ط1، دار الملتقى، حلب- سورية: 2007م، ص255.

(57) ينظر: تصحيح الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سعيد(**العسكري**)، تح وتع: محمد عثمان معلق، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر:2007م، ص338.

(58) م س، ص338.

(59) ينظر: القاموس المحيط، ص914، مادة(عمي)

(60) ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد(الأزهري)، تح: مرعب محمد عوض، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت:2001م، 3/155، مادة(عمى-يعمى)، باب(العين والميم).

(61) كتاب العين، 2/266، مادة(عمي)، باب (العين والميم و واي معهما).

(62) القاموس المحيط، ص914، مادة(عمي)

(63) لسان العرب، 15/96، مادة(عمي). وينظر: البرهان في علوم القرآن، 4/194.

(64) البرهان في علوم القرآن، 4/194.

(65) طالع: موازين القرآن، عز الدين(**بليق**)، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت- لبنان: 1983م.

(66) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص262،263.

(67) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي(الشعراوي)، دط، أخبار اليوم، مصر: دت، 6/3643-3644.

(68) أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي(النيسابوري)، دط، دار الفكر، بيروت- لبنان: 1994م، ص184.

(69) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني (**الألوسي**)، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان: دت، 30/39.

(70) أسباب النزول، ص248.

(71) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (**الشنقيطي**)، دط، دار الفكر، بيروت- لبنان: 1995م، ج34، ص8.